

## طومان باي الذي يعتبر الفن مرآة لمشاكل الناس

خالد النبوي

ناشط سياسي واجتماعي في عباة فنان مشاغب



● "ممالك النار" أحدث تجاربه الدرامية يقدم فيها النبوي شخصية طومان باي متجاوزاً السيرة الذاتية إلى التعمق في نشأة الدولة العثمانية والانتهاكات التي ارتكبتها.



● تنوع التجارب الفنية للنبوي وإتقانه الإنكليزية يعززان دوماً فرص مشاركته في أعمال عالمية، فبرز في "مملكة السماء" لريديلي سكوت، وفي "لعبة عادلة" مع النجمة ناغومي واتس، الفيلم الذي انتقد زيف ادعاءات أميركا حول البرنامج النووي العراقي.

محمد عبدالهادي  
كاتب مصري

لا يستطيع بعض الممثلين عزل اختياراتهم الفنية عن قناعاتهم الذاتية وميولهم الفكرية. يضعون معادلات للقبول لا تتضمن أطرافها الربح المادي، لكن تمتد لتشمل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يتصدى لها السيناريو والدور المغاير للأعمال السابقة، حتى لا يحسروا أنفسهم في بوتقة أداء واحدة.

الفنان المصري خالد النبوي، من ذلك الطراز. فهو يواصل رحلته الفنية محلياً وعالمياً عبر سلم أخلاقي ثابت يمنعه من قبول أدوار تخالف قناعاته الشخصية وتوجهاته السياسية التي تعتبر الفن مرآة عاكسة للواقع ومشكلات الناس وألامهم، وليس مجالاً للإمتاع والتسلية.

## ممالك النار

على مدار رحلته الفنية التي تقرب من ثلاثين عاماً، لم يكرر النبوي دوراً. لفتت انتباهه شخصياته، سواء محلية أو خارجية بين البطل الطامح إلى التغيير، أو الشرير الذي يحاربه، والشاب الحالم بمستقبل أفضل أو الهارب إلى الخارج لإثبات الذات، والرومانسي الذي يذوق مرارة الحب، وجميعها تمتد تحت مظلة عريضة من الأبعاد السياسية.

وفي أحدث تجاربه الدرامية "ممالك النار" يسير النبوي على سياق فني يتجه منذ انطلاقته الفنية مطلع التسعينات، فشخصية طومان باي التي يقدمها تأتي في سياق درامي يتعدى السيرة الذاتية لأخر السلطان المملوك بمصر إلى التعمق في فكرة مغايرة عن نشأة الدولة العثمانية، والانتهاكات التي ارتكبتها في حق الشعوب التي خضعت لولايتها.

يمتد المسلسل الذي تعرضه فضائية "أم.بي.سي" و"نتفلكس" بالتزامن، مساحات للفنان للمشاركة في عمل يحلم بسماوات مغايرة عن الدراما التاريخية التي شارك فيها من ناحية الشكل والإخراج، وحتى طبيعة الدور عن شخصية معقدة وجدت نفسها تقود جيشاً منكمسراً وشعباً منقسماً، أمام عدو أكبر عدا وعتادا، حتى نهايتها المأساوية معلقة على باب زويلة الشهير في قلب القاهرة.

من ذلك الوعي، يتبنى النبوي تعريفاً يختلف به مع الكثير من الممثلين في هذا الزمن، بأن الفن ضمير الشعوب ووظيفته المنطقية الدخول إلى الحياة الاجتماعية والتغلغل في تفاصيلها، فأي عمل يجب أن يتضمن مشكلة حياتية أو هدفاً يؤهلها لتجسد في السينما.

في فيلمه الجديد "يوم وليلة" المقرر عرضه جماهيرياً قبل نهاية العام الجاري وقد شارك في مهرجاني "الدار البيضاء" بالمغرب و"مالمو للسينما" بالسويد، يجسد مشكلات الفقر والعشوائية والتطرف انطلاقاً من أحداث ليلة واحدة

تزامنت مع الاحتفال بمولد السيدة زينب. تمثل القضايا الشبابية معياراً رئيساً في انتقاء أعماله، فهو يعتبر الشباب ضحايا مناخ من البيروقراطية يقتل الإبداع، لذلك يتناول في أعماله قضايا البطالة وفقدان الأمل والتفكك الأسري. وربما كانت تلك القناعة سبباً لقبوله المشاركة في مسلسل كوميدي لا تتماشى معطيائه معه كمثل جاد، بعنوان "تشنينو كافيته"، لكنه تصدى للكثير من مشاكل الأجيال الجديدة العاطفية والاقتصادية.

## نصير الثورات

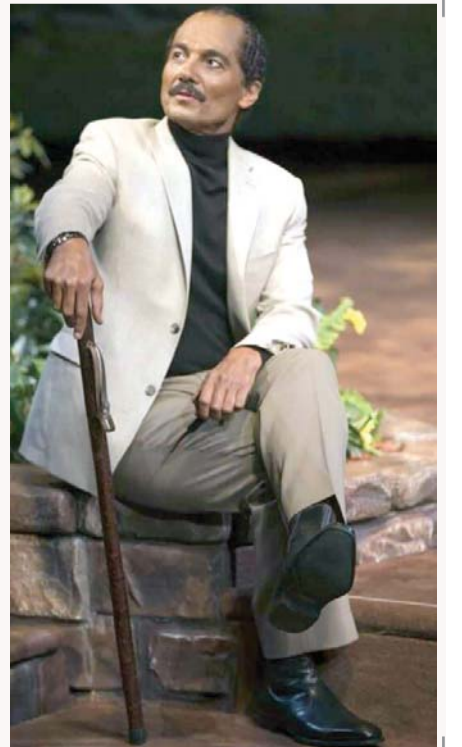
لا يخفي الفنان القادم من محافظة الدقهلية بدلتا مصر ميوله الفكرية كغيره من الفنانين، ففي خضم ثورة 25 يناير 2011 كان بين النشطاء في ميدان التحرير حالفاً قسم الثورة على منصفته الرئيسية، وطالب النظام المصري انزاعاً بالرحيل حقناً للدماء ومنح الفرصة لوجوه جديدة، وفي يونيو 2013 شارك في تحركات إزاحة جماعة الإخوان من السلطة دفاعاً عن قيم الحرية والمدنية.

كان النبوي أكثر نكاه برفضه اعتلاء الموجة الثورية فينا، مثلما حاول الكثير من زملائه وتورطوا في أعمال سببها مذبحة متسرعة ضعيفة السيناريو والإخراج، سعياً للحاق بركب التغيير السياسي، وقد رفض عرضاً لتجسيد فيلم عن الناشط السياسي وائل غنيم الذي تصدر الوجهة الإعلامية حينها، رغم الصداقة التي جمعت به، بحجة انشغاله الفني.

تلك القناعات السياسية تجعله في منطقة متوازنة بين توجهات الحكومة والأجيال الجديدة على حد سواء، فلا يزال مقتنعاً بأن التطرف خطر في كافة أشكاله، فاليسار السياسي يخدم اليمين المتطرف، ولم يغير توصيفه لثورة 25 يناير بأنها الحدث الأسمى في تاريخ مصر وانتقاد محاولات تشويهها دون الانجرار إلى تحديد هوية محددة، لكنه في الوقت ذاته يدافع عن مؤسسات الدولة الوطنية ملامحها الخارجية فقط.

اختمرت تجربته الفنية مع إيمان المخرج يوسف شاهين بموهبته فقدمه بطلاً في فيلم "المهاجر" الذي لم يعرض إلا بحكم قضائي لاقترب أحداثه من قصة النبي يوسف، وحصل عن دوره على جائزة أفضل ممثل في مهرجان يوهانسبرغ للسينما، ثم أعاد تقديمه في فيلم "المصير" عن سيرة ابن رشد، ليحصل على جائزة أفضل ممثل مساعد من المهرجان القومي للسينما.

يعتبر التعلم عنصراً رئيسياً في تجربته، فأسرته متوسطة الحال اقتصدت في كل شيء إلا في الإنفاق على التعليم، وكانت أول هدية تلقاها رواية "الأم" لمسيك غوركي عن كفاح العمال إزاء البورجوازيين، ليحصل حتى الآن قدراً من الأفكار القومية تتنازع مع توجهه الليبرالي، من شاكلة لماذا تكون أميركا الأمل للشباب، ولماذا لا يكون للمصريين جنة أحلامهم الخاصة، ولماذا لا يهتمون بالإنتاج فيكون قرارهم نابعا من الداخل؟ يحاول النبوي دائماً البعد عن جلد الذات بخاشي مشاهدة الأفلام التي شارك فيها خوفاً من الإحباط حال مشاهدته الأخطاء التي ارتكبتها في الأداء، فلم يرض



النبوي ابن دلتا  
مصر لا يخفي ميوله  
الفكرية مثل غيره،  
ففي ثورة 25 يناير  
كان بين النشطاء في  
ميدان التحرير، وفي  
يونيو 2013 شارك  
في تحركات إزاحة  
جماعة الإخوان، وهو  
اليوم يعزز بعمله  
الجديد وتجسيده  
شخصية السادات

يوم واحد من أحداث 11 سبتمبر في "المواطن" معبراً عن معاناة المسلمين بوجه عام بعدها، وعالم فيزياء عراقياً في فيلم "لعبة عادلة" الذي وجه انتقادات لاذعة لزيغ ادعاءات الإدارة الأميركية بخصوص البرنامج النووي العراقي.

لكن النبوي يبدو أكثر اعتزازاً بتقديمه دور الرئيس المصري الراحل أنور السادات في مسرحية "كامب ديفيد"، عن كواليس اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل، أمام المخضرم رون ريفكين بأحد مسارح واشنطن، وأعاد تقديمها في كاليفورنيا.

يقول إنه لا يبحث عن العالمية التي أصبحت كلمة دارجة يتم تداولها خارج سياقها، فهو يثق فقط عن دور جيد، ولم يوافق في البداية على "كامب ديفيد" لعدم وجود تشابه شكلي مع الشخصية، لكنه اقتنع بعدما عرف أنها معتمدة على مذكرات الرئيس جيمي كارتر وعالجها الكاتب لورانس رايت، ووجدتها فكرة سائحة لتقديم تصوير للعرب كمجبيين للسلام وداعمين له.

لا يحمل علاقة جيدة مع شبك التذاكر أيضاً، فالخبر من أعماله لم تحقق إيرادات

يحصل هذا الفنان المصري جزءاً من عقلية الفنانين الكبار الذين تعامل معهم في تجاربه الأولى، مثل عمر الشريف وعزت العلايلي ونور الشريف في السينما والدراما، في اختيار أعمال تتعدى حدود الزمن لتظل خالدة، ويسير على نصائح سعد أردش المسرحي الكبير في وضع حدود بين دور الممثل والمخرج، فلا يعترض على التوجيهات حتى ولو كان غير مقتنع بها. لكنه يعاني وهو الذي قدم قراءة الأربعين عملاً فنياً، من إشكاليات أبناء الريف الأزلية في الابتعاد عن الأضواء واللقاءات التليفزيونية وإبعاد حياته الخاصة عن الواجهة، محتفظاً بقدر من الخجل والتلعثم في لحظات التكريم والثناء، ليعيش بشخصيتين إحداهما منطلقة وحاضرة ذهنياً على الشاشة، والثانية قليلة الكلام ومنزوية في العالم الحقيقي.

عن جميع أواره باستثناء "داوود باشا" الذي قدمه في مسلسل حديث "الصباح والمساء" عن طيب تعلم بالخارج وعاد ليتخلّى عن حياة القصر وزوجته ذات الأصل التركي، ويفضل عليها خادمة زنجية يعيش معها داخل بيت متواضع.

عشق داوود باشا لكونه قريب الشبه بجزء من حياته، فالفنان الذي ينشر صوراً قديمة له في مقتبل العمر على كباري النيل يأكل الفول مع تعليقات مستمرة تظهر تعلقه بالماضي، لا يختلف عن داوود الذي يحن دائماً للحارة الشعبية التي يتحدر فيها من مدينته وزيه ويرجع إلى طبيعة نشأته البسيطة، فريتدي الجلاب ويهجر آداب المائدة الغربية ويأكل بشراسة الفلفل والعسد والبصل الأخضر على الأرض.

لم يخرج من عباءة نشأته في مدينة المنصورة التي غرست فيه حب الأعمال التاريخية، فدانسا يتطرق إلى حياته في منزل جدته الملاصق لدار ابن لقمان التي أسر فيها الملك لويس التاسع ملك فرنسا قبل ثمانية قرون، ومدرسته التي حملت اسم شجرة الدر، وسيرة والده الضابط بالجيش الذي شارك في حرب 1967 ومعارك الاستنزاف قبل أن يصاب في العمود الفقري.

## تجارب عالمية

لا يضع حسبة الأموال كثيراً في اختياراته فوق الإعجاب بالدور المحك: لقد وقع على عقد حديث "الصباح والمساء"

دون كتابة أي مقابل مالي، وفضل العمل في مسلسل "بوابة الحلواني"

بمقابل 600 دولار في التسعينات

على فيلم سينمائي بأربعة أضعاف

المبلغ، لتقديره قيمة عمل تاريخي

يعالج مرحلة حكم الخديوي

إسماعيل لمصر والحياة الاجتماعية

والسياسية والاقتصادية في حينه.

تنوع التجارب الفنية للنبوي وإتقانه

الإنكليزية عززاً من فرص مشاركته في أعمال عالمية،

ليصبح مستشاراً لصالح الدين الأيوبي في فيلم "مملكة السماء"

للمخرج ريديلي سكوت، وشاباً عربياً يصل

أميركا قبل

